

التحرير والتنوير

وأما ذكر كلمة (نفخة) فليأتى إجراء وصف الوحدة عليها فذكر (نفخة) تبع غير مسوق له الكلام فتكون هذه النفخة هي الأولى وهي المؤذنة بانقراض الدنيا ثم تقع النفخة الثانية التي تكون عند بعث الأموات .

وجملة (وحملت الأرض والجبال) الخ في موضع الحال لأن دك الأرض والجبال قد يحصل قبل النفخ في الصور لأن به فناء الدنيا .

ومعنى (حملت) : أنها أزلت من أماكنها بأن أبعدت الأرض بجبالها عن مدارها المعتاد فارتطمت بأجرام أخرى في الفضاء (فدكتا) فشبهت هذه الحالة بحمل الحامل شيئاً ليلقيه على الأرض مثل حمل الكرة بين اللاعبين ويجوز أن يكون تصرف الملائكة الموكلين بنقص نظام العالم في الكرة الأرضية بإبعادها عن مدارها مشبهاً بالحمل وذلك كله عند اختلال الجاذبية التي جعلها □ لفظ نظام العالم إلى أمد معلوم □ تعالى .

والدك : دق شديد يكسر الشيء المدقوق أي فإذا فرقت أجزاء الأرض وأجزاء جبالها .

وبنيت لأفعال " نفخت وحملت ودكتا " للمجهول لأن الغرض متعلق ببيان المفعول لا الفاعل وفاعل تلك الأفعال إما الملائكة أو ما أودعه □ من أسباب تلك الأفعال والكل بإذن □ وقدرته .

وجملة (فيومئذ وقعت الواقعة) مشتملة على جواب (إذا) أعني قوله (وقعت الواقعة) وأما قوله (فيومئذ) فهو تأكيد لمعنى (فإذا نفخ في الصور) الخ لأن تنوين فيومئذ عوض عن جملة تدل عليها جملة (نفخ في الصور) إلى قوله (دكة واحدة) أي فيوم إذ نفخ في الصور إلى آخره وقعت الواقعة وهو تأكيد لفظي بمرادف المؤكد فإن المراد ب (يوم) من قوله (فيومئذ وقعت الواقعة) مطلق الزمان كما هو الغالب في وقوعه مضافاً إلى (إذا) . ومعنى (وقعت الواقعة) تحقق ما كان متوقعاً وقوعه لأنهم كانوا يتوعدون بواقعة عظيمة فيومئذ يتحقق ما كانوا يتوعدون به .

فعبر عنه بفعل الماضي تنبيهاً على تحقيق حصوله .

والمعنى : فحينئذ تقع الواقعة .

والواقعة : مرادفة للحاقة والقارعة فذكرها إظهاراً في مقام الإضمار لزيادة التهويل وإفادة ما تحتوي عليه من الأحوال التي تنبئ عنها موارد اشتقاق أوصاف الحاقة والقارعة والواقعة .

و (الواقعة) صار علماً بالغلبة في اصطلاح القرآن يوم البعث قال تعالى (إذا وقعت

الواقعة ليس لوقعتها كاذبة) .

وفعل (انشقت السماء) يجوز أن يكون معطوفا على جملة (نفخ في الصور) فيكون ملحقا بشرط (إذا) وتأخير عطفه لأجل ما اتصل بهذا الانشقاق من وصف الملائكة المحيطين بها ومن ذكر العرش الذي يحيط بالسموات والأرض وذكر حملته .

ويجوز أن يكون جملة في موضع الحال بتقدير : وقد انشقت السماء .

وانشقاق السماء : مطاوعتها لفعل الشق والشق : فتح منافذ في محيطها قال تعالى (ويوم تشقق السماء بالغمام ونزل الملائكة تنزيلا الملم يومئذ الحق للرحمن وكان يوما على الكافرين عسيرا) .

ثم يحتمل أنه غير الذي في قوله تعالى (فإذا انشقت السماء فكانت وردة كالدهان) ويحتمل أنه عينه .

وحقيقة (واهية) ضعيفة ومتفرقة ويستعار الوهي للسهولة وعدم الممانعة يقال : وهي عزمه إذا تسامح وتساهل وفي المثل " أوهى من بيت العنكبوت " يضرب لعدم نهوض الحجة . وهو أجزاءها بتماسك صلبة كانت أن بعد عليها طراً الوهي أن (يومئذ) وتقييده A E المعبر عنه في القرآن بالرتق كما عبر عن الشق بالفتق أي فهي يومئذ مطروقة مسلوكة . والوهي قريب من الوهن والأكثر أن الوهي يوصف به الأشياء غير العاقلة والوهن يوصف به الناس .

والمعنى : أن الملائكة يترددون إليها صعودا ونزولا خلافا لحالها من قبل قال تعالى (فإذا انشقت السماء فكانت وردة كالدهان) .

وجملة (والملك على أرجائها) حال من ضمير فهي أي يومئذ الملك على أرجائها .

والملك : أصله الواحد من الملائكة وتعريفه هنا تعريف الجنس وهو في معنى الجمع أي جماعة من الملائكة أو جميع من الملائكة إذا أريد الاستغراق واستغراق المفرد أصرح في الدلالة على الشمول ولذلك قال ابن عباس : الكتاب أكثر من الكتب ومنه (رب إني وهن العظم مني) . وضمير (أرجائها) عائد إلى (السماء) .

والمعنى : أن الملائكة يعملون في نواحي السماء ينفذون إنزال أهل الجنة بالجنة وسوق أهل النار إلى النار .

وعرش الرب : اسم لما يحيط بالسموات وهو أعظم من السموات